خوان خوسيه أريولا

المسرحية الثامنة

ساعة هاريسون فيش الأخيرة

دراما ذات فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

Juan José Arreola
La Dernière Heure
d'Harrison Fish

ولد الكاتب المكسيكي خوان خوسيه أريولا في مدينة كويدا غوسمان عام ١٩١٨ . تعرف بمدير المسرح الفرنسي لوي جوفيه أثناء جولته في أميركا اللاتينية، فجاء إلى فرنسة عام ١٩٤٥ وعمل مع كل من جان لوي بارو وبيير رونوار ولوغوف ثم رجع إلى مكسيكو. نال عام ١٩٥٣ جائزة «خاليسكو». ثم جائزة المسرح الوطني عام ١٩٥٦ وميدالية «خوسيه فيجيل» بعد ذلك بعام.

كتب أريولا الكثير من الحكايات وقصائد النثر. وكان المستشار الثقافي للجامعة الوطنية في مكسيكو. وترجم الكثيرعن الفرنسية كما أسس دار نشر تخصصت في نشر إنتاج الكتّاب المكسيكيين الناشئين.

الشخصيات:

آراس، المشرف

هاريسون فيش

جو «تَبْ تَبْ» سميث

غلوريا ديكنسون

روسكوي هاميلتون

فيرونيك

المسجّل

محافظ المتحف

صوت ما يي

صوت هاريسون

تجري الأحداث في الطابق السبعين من ناطحة السحاب امبايرستيت في نيويورك صباح ٢٨ تموز ١٩٤٥ .

مكتب رجل أعمال يتجلّى فيه التزمت والبذخ . تغطي الأرض سجادة سميكة غامقة اللون . هناك كنبتان كبيرتان وأريكة من الجلد . ومكتب من خشب الجوز عليه أدوات أنيقة ومصنف جلدي لحفظ الوثائق .

تبرز على الجدار المدهون بانسجام، لوحة تمثّل حوار للفنان لوكاس كراناش البكر، وذلك بسبب لونها الأصفر الفاقع .

تظهر أبواب في الصدر وعلى اليسار . أما اليمين فيطل على خليج كبير .

يبدو في الأعلى ناحية اليمين بوق كبير من أبواق الدينونة الأخيرة وهو موجّه صوب مكتب هاريسون فيش، وسوف تأتي من هناك كافة المؤثّرات الصوتية التي ستسمع فيما بعد ومعها صوت المسجّل .

يرتفع الستار بإشارة من بوق يؤدي لحن جاز . ثم يرافق ذلك تنوّع من الأبواق والآلات الموسيقية .

يدخل آراس بهيئته المؤثرة والمسالمة معاً. فثيابه بسيطة، يضع نظارتين سوداوين على عينيه ويحمل برنامجاً بيده اليمنى. أما في اليسرى فيحمل صندوقاً صغيراً أسود. يصل فيتصرف كأنه في بيته، فيرمي بالبرنامج فوق المكتب ويفتح الصندوق الصغير فيتبيّن أنّه المسجّل فيبحث عن مأخذ كهربائي ليصله بالتيار، ثم يشغّل الآلة.

نسمع نتفاً من جمل وأنغاماً وصيحات تتوافق والمشاهد التي ستدور بعد قليل. ثم يتلو ذلك طنين. ويبدو الرضى على آراس فيطفئ المسجّل ويتقدّم صوب الجمهور كأنه مذيع.

آراس: سيداتي سادتي. ها نحن في مكتب رجل الأعمال الكبير هاريسون فيش. الذي لن يتأخر في الوصول ما دامت كدسة من الأضابير المستعجلة تنتظر فوق مكتبه. قد يرتفع سعر السكر في الأسواق هذا الصباح. وقد يعلن خمسة آلاف عامل من أوكلاهوما الإضراب عن العمل. وقد تصيب الحمّى سوق الأوراق النقدية في وول ستريت، لمجرد عزم هاريسون فيش على بيع أسهمه في الصناعات الحديدية. إنها في واقع الأمر أعمال هامة، بل ربما كانت من أهم الأعمال التي

تصدى هاريسون فيس لمعالجتها يوماً. ومع ذلك فسوف نزيح هذه الأضابير بعيداً فنستبدلها بهذا البرنامج الصغير.

فلتطمئن ربات البيوت، وليشتغل عمال أوكلاهوما بكل راحة بال، ولتحافظ سوق وول ستريت على هدوئها. فمشاغل هاريسون فيس ستكون مختلفة كل الاختلاف هذا الصباح وغير متوقعة على الإطلاق.

لا أريد الآن أن أستبق الأمور فأحدثكم عن طبع هاريسون أو فضائله الشخصية. بل يستحسن ألا تكونوا سلفاً منحازين إليه أو متحاملين عليه. ينبغي أن يكون هنا.

(يفكّر ثم ينظر في ساعته)

من المؤكّد دخوله المبنى في هذا الوقت وسوف يأخذ المصعد بين لحظة وأخرى.

(يدير المسجل فنسمع طنيناً خافتاً يدوم حتى دخول هاريسون)

تماماً! أصغوا لضجيج المصعد المتحرك بالسرعة البطيئة.

إنها أوامر الدكتور فينكل! فهاريسون يعاني من اضطرابات قلبية. وأذكّركم بأننا في الطابق السبعين من

ناطحة الامبايرستيت، ذلك الموشور الاسمنتي الهائل المهيمن على هندسة نيويورك المشوّشة. وعليه ما تزال أمامنا بضع دقائق أخرى أيضاً.

كان علينا، حسب رأيي، أن نحذف كل تمهيد لنجعل هاريسون يدخل مكتبه مباشرة. لكن فلنتابع.

جرت العادة أن يظهرهاريسون وهو في أحسن حال، وذلك في صالحه. أما اليوم فسوف يكون أقل تألقاً، لأنه بدأ يدرك ذلك. لقد بقي مساء أمس بصحبة فيرونيك حتى ساعة متأخرة جداً في «الأستوريا» وقد أفرط في الشراب. وقالت له فيرونيك هذا الصباح إنها تراه شاحباً شحوب الأموات. فلم يستسغ تلك الملاحظة على الإطلاق وتناول فطوره وهو صامت. ثم أدلى بملاحظات حول زوال الحياة وهي ملاحظات غريبة حقاً حين تصدر عن رجل مثله، وهذا ما جعل فيرونيك تستمتع كثيراً. وفيرونيك هي عشيقته في الفترة الراهنة. وهي امرأة شقراء ذات مسحة رمادية متموّجة. وسوف ترونها بعد قليل. أما البرنامج الذي وضعته على مكتب هاريسون بدلاً من الأضابير المعتادة فيدل على أرقام الفقرات لعرض صغير منظّم بكل دقة.

وأرجو أن يلقى حسن الالتفات من قبلكم وإلى أقصى حد ممكن. وسوف نستجر هاريسون لأن يبوح لنا ببعض الخفايا. لأتولى أنا، إذا ما رغبتم في ذلك، جانب الإشراف والتقديم. وكنت أود أن أعرض عليكم سلسلة من اللقطات من أفلام تصوّر حياة هذا الرجل الاستثنائي. لكن الموازنة الموضوعة تحت تصرفي متواضعة جداً لسوء الحظ.

فكان عليّ أن أقنع بمسجل لا غير وببوق واحد. إنها مسألة تزيين. أليس كذلك؟ سوف يتولى هذا المسجّل سدّ كافة الثغرات في ذاكرة هاريسون. كما سيأتي بعض الأشخاص لسرد وقائع متنوعة، تعرّفوا أثناءها على هاريسون. وأخشى أن يكونوا في غالبيّتهم شهود إثبات. فهناك عجوز قصيرة القامة عمرها ثمانون عاماً... غير أني سأحتفظ لكم بعنصر المفاجأة...

(يخف الطنين: فيسمع صوت باب المصعد)

ذلكم هو هاريسون فيش وسوف نبدأ.

(صوت بوق. يدخل هاريسون من الباب في صدر القاعة. عمره ٤٨ عاماً. متين البنية، ذو مهابة، تعوّد أن يكون مطاعاً. يتوجّه إلى مكتبه، من غير إلقاء التحية على آراس، ويتفحّص البرنامج).

آراس: سيداتي، سادتي. أقدّم لكم هاريسون فيش.

هاريسون: . . . تهانيّ لك، فليس هناك أي نقص. لكن كان بوسعك أن تستغني عن بعض التفاصيل الحمقاء.

آراس: يا سيد هاريسون فيش، لا تحكم على الأمور باستخفاف. فأناكتبت هذا البرنامج بعناية، وتساهل كبير جداً.

هاريسون: أنت متمسك على أن تنطلق في مكتبي أغانٍ متبذلة وألحان رقصات لا أدري كنهها؟

آراس: ذلك ما لا يُستَغنى عنه، وسوف توافق على ذلك بنفسك بعد قليل. أما الأحداث الرومنسية. مثل حادثة مايي على سبيل المثال . . .

«يدير المسجّل فنسمع:

داخل كوخ صغير

عند شاطيء النهر

سأبقى معك يا حبيبي

حتى نهاية العمر . . .»

هاريسون: تلك الأغنية الحمقاء!

آراس: لا تقل سوءاً في مؤلّفاتك. كنتَ في العشرين لا غير، ولو أنك واظبت . . .

هاريسون: أمر مضحك! لقد توقفت عن الاهتمام بهذه الولدنات منذ زمن طويل.

آراس: أتسمح لي؟ (يفتح جرار مكتبه فيخرج منه بانجو[1] صغير). لم تكن تأنف التعامل مع الموسيقى في أوقات فراغك. وكنت بين وقت وآخر، ترافق على هذا البانجو أغنية قديمة: «داخل كوخ صغير، عند شاطئ النهر...».

هاريسون: حسبك هذا!

(ينتزع البانجو من يد آراس ويرمي به بكل عنف).

آراس: لا تغضب. ولنسمع أغاني أخرى: «سايبوني»، «أوه مامي»، «سوني بوي»، ألا تذكّرك بشيء كل هذه؟

هاريسون: أنت متمسك حقاً بكافة هذه الأشكال من الموسيقى؟

آراس: فكّر بالسيدات المسنّات جميعاً وكافة الرجال المسنّين الذين يصغون إلينا، والذين سوف يبكون لدى سماعها. وليس من يعلم عدد الفتيات، بنات الثامنة عشرة، مثل مابي، ممن استسلمن للغواية على لحن أغنية دافئة، إلا الله. وما أن أعلنتُ عن العناوين حتى سمعت همساً متوتّراً يسري بين الجمهور المحترم.

(١) بانجو: آلة موسيقية وترية تشبه القيثارة.

هاريسون: ضع ما تشاء من الأغاني. فأنا سوف أسدّ أذنيّ.

آراس: يا ألف نعمة. ولا تنس أن مسؤولية البرنامج تقع كلها على عاتقي. فالبرامج الإذاعية التي ساهمت بها من قبل كانت مختلفة كل الاختلاف. وأذكر منها على سبيل المثال تلك السلسلة الإذاعية المسماة: «عظماء اليوم»، أو شيئاً من هذا القبيل. كان فيها البروفسور أنيشتاين والرئيس روزفلت و... هاريسون فيش. الوجه الجرئ: «عامل التقدم وقبطان الصناعة»... وجرى تعتيم كامل على حكاية الزنجي والانفجار في مصنع غاز الخردل، حيث هلك ما يزيد على مئتين من الأشخاص.

هاريسون: إن كان المصنع انفجر فليست غلطتي. وكان العمال مؤمّنين.

آراس: بلى. فقد سلموا كل أسرة خمسة آلاف دولار وسبعين كيلوا غراماً، على شكل جثة فاقدة المعالم. يا للناس المساكين! تذكّر أنّ من رآها كان يقول إنّها عجينة هلامية!

هاريسون (وهو يتصفّح البرنامج): ذلك ممكن! غير أن مصنع غاز الخردل لم يرد في البرنامج. فلِمَ أتيت على ذكره؟

آراس : ذلك صحيح . المعذرة . هل تسمح لي؟ (يأخذ منه البرنامج) لنبدأ على نحو منظّم . . . كم ذلك غريب! إنّ حادثة الزنجي هي التالية بالضبط .
(معلناً) : حكاية جو! كان جو «تب تب» سميث زنجياً مرحاً، من مواليد ماغنولي كورنرز . إبدأ الحكاية، يا هاريسون .

هاريسون : سأقوم بادئ الأمر باتصال هاتفي . فهناك مسألة هامة!

آراس : أنت لم تحسب حساباً لموافقتي على قيامك بتصريف أعمالك كالمعتاد . وإثارة مسائل خارج نطاق البرنامج في وقت لا نتوقّعه مطلقاً! كلا، يا هاريسون . والهاتف على كل حال مقطوع . كما أعطيتُ إجازة لمستخدميك جميعاً . لكن من قِبَلِكَ أنت طبعاً . وأدخلتُ شخصياتي أنا إلى قاعة الانتظار الخاصة بك . فهناك يسعهم أن يرتدوا ملابسهم وأن يضعوا شيئاً من الماكياج إذا ما شاؤوا .

هاريسون : فهمت . وها أنا رهن إشارتك .

آراس : يا له من قول! إذن هات حكايتك . وقل لنا كم يمثّل موت زنجي من عبء على الضمير .

هاريسون: كان ذلك . . . في ماغنوليا كورنرز . . . عام ١٩٢٩ . . لم أعد أذكر في أي تاريخ . . .

المسجّل: في ٢٢ أيار ١٩٢٩ .

هاريسون: ربما . كنا قد سكرنا مساء في حانة نيكاي . (يسمع طرق كؤوس وضحكات وشتائم وموسيقى جاز) .

كان لديه قبوٌ مليءٌ بزجاجات الشراب وفي مأمن من المباغتات . وكنا خمسة .

(خمسة أصوات ينشدون الأسماء واحداً فواحداً ثم مجتمعين مثل كورس. بوزي! داني! هاري! جيمس وجوزيه! بوزي! داني! هاري! جيمس وجوزيه!)

هاريسون (حالماً) : كانت هناك أيضاً أليس ، خطيبة جيمس .

(يسمع الكورس مجدداً : أليس! أليس! ثم ضحكات امرأة)

هاريسون: كنتُ الأكبر بين الزمرة، كنت الزعيم إذاً . فقررتُ عند منتصف الليل أن نمضي لنواصل الاحتفال في بيتي في هاتيسبورغ . واصطحبنا أليس وهي فتاة منعتقة جداً وعلى استعداد لكل شيء . والواقع أنّها كانت هي وجيمس قد . . .

المسجّل: يقصد بذلك السيدة أليس بيري ، التي لم تعد تحمل اليوم أدنى ذكرى من تلك المغامرة . فقد تزوّجت من

رجل صناعة غني فأنجبت له عدة أولاد. وهي سيدة مرموقة في ساوثني، اشتهرت بفضائلها الاجتماعية السامية. كما أنها تواظب على حضور الصلوات الكنسية. ويسعدنا أن نذكرها كمثال على استعادة الاعتبار الأخلاقي.

آراس: تابع يا هاريسون. إذاً كانت أليس تبدو فتاة تنضح بالشهوة...

هاريسون: فتاة ماعادوا ينتجون من مثلها. كان الجميع في أعماقهم يحسدون جيمس عليها. ولقد ركبنا سيارة جو «تب تب» سميث، لنذهب إلى هاتيسبورغ. كان يبدو مستقيماً رغم أنه زنجي. لقد استأجرناه حتى نهاية الليلة مقابل عشرة دولارات.

(يدخل جو وهو يبتسم ويرقص، مصحوباً بمقاطع موسيقية من وضع غرشفين. وهو فتيّ ببزة خارجة عن المألوف كأنّه مغن أو راقص جاز. فسترته وبنطاله من الجوخ ذي المربعات وقبعته رمادية مع ربطة عنق حمراء وحذاء لماع وواقيتي ساق بلون الخردل. في عروة سترته زهرة كبيرة وشفتاه مصبوغتان على طريقة أل جولسون. وهو يمسك بمقود سيارة من تلك المرحلة. وسوف يؤدي جو طيلة المشهد إيمائية صامتة).

هاريسون: لست أدري كيف لم نُقتل في تلك الليلة .

(ضجّة دوران محرك، وصرير انزلاق عجلات عند المنعطفات، صوت زمور، صراخ الركاب وشتائمهم).

كان جو سميث، الفتى الحذر، في حالة من القلق والاستنكار الحقيقي . وكنا نسعى لتهدئته بإعطائه المزيد من الشراب . فكان ينبغي أن يكون مثلنا وفي نفس الحالة من السّكر . غير أنّ أليس هي التي كانت متفوّقة على الجميع . فكان من المتع سماعها وهي تصرخ .

(تسمع صرخات أليس).

آراس: وأخيراً، يا هاريسون، بدأت تدخل في الجو . هات، أخرج زجاجة إذن ولنشرب، ذلك سوف يساعدك على الاستمرار .

(هاريسون لا يتحرك . يخرج آراس من المكتب زجاجة ويسكي وكأسين . فيسكب ويشرب).

نخب صحتك، يا هاريسون . ونخب ذكرى تلك الليلة التي لا تنسى!

تابع : كانت أليس تصرخ . . .

هاريسون (يشرب جرعة): أوقف جيمس السيارة في ضاحية هاتيسبورغ . وكان له قصد من ذلك . كان يعرف أن

أليس تستلطفنا جميعاً، فكان يريد أن نجدّد عهد صداقتنا الأبدية بشهادة منها. فشربنا الأنخاب وتبادلنا دقّ الكؤوس. كان جيمس يقول: «واحد للجميع والجميع لواحد». ثم قال حين انتشى: «وواحدة للجميع، فماذا ترون؟».

(صوت ضحكات امرأة، ودهشة كما عند نهاية حكاية خليعة قليلاً).

آراس: وكيف قابلتم ذلك الاقتراح الكريم؟

هاريسون: لم أكن ثملاً في حياتي قط على نحو ما كنت آنذاك. لكني أعتقد أن الجميع كانوا مثلي أيضاً ولا سيما جيمس. الذي بدا مهتاجاً جداً.

آراس: ألم تقبلوا؟

هاريسون: قمنا جميعاً بمعانقة أليس حتى لا نسبّب الغمّ لجيمس. وكان جيمس يمسك برأس من لا يقبّلها جيداً، فيصرخ به قائلاً: «هيا، افعل على نحو أفضل من هذا!» وكانت أليس تغرق في الضحك. وكان جيمس يلحّ كثيراً من أجل أن ننعم بأقصى آيات الحب مع أليس وبموافقة منه. فكان يقول إنه ليس غيوراً حيال أصدقائه وإنّ تلك هي أفضل طريقة تتسم بها الصداقة.

آراس: وهل رفضت أليس؟

هاريسون: كانت ثملة بشكل تام فلم تبدِ سوى مقاومة ضعيفة. كانت النار تلتهب في رؤوسنا نحن. فنتظاهر بالنوم. لينزل كل واحد إلى الخندق بصحبتها.

آراس: وماذا كان رأي جو بذلك كله؟

هاريسون: كان قلقاً. حتى ليظنّ المرء أنه كان لديه حدس بما سوف يقع. وقد هدّدنا بإعلام الشرطة. فأعطيناه نصف زجاجة لتهدئته وعشرة دولارات أخرى. كان ينبغي أن يبقى معنا حتى النهاية.

آراس: وماذا بعد؟

هاريسون: نمنا عند حافة الطريق. ولا بدّ أن أليس شعرت بالبرد فلجأت إلى السيارة. وحوالي الساعة السابعة رغب واحد منّا في لقائها مجدداً...

المسجّل: «واحد منّا»؟ لِمَ لا تقول إنه أنت يا هاريسون؟

هاريسون: ليأخذني الشيطان لو أني... لا يهم. فقد نهض واحد منا...

المسجّل: استخدم صيغة المتكلّم.

هاريسون: لقد نهضت لأرى ما حلّ بأليس. إذ يمكن أن تكون توعكت أو أصابها شيء من ذلك القبيل...

آراس : أنت، يا هاريسون، لا تفتقر لروح النكتة. لكن لنتابع. لقد توجّهت نحو السيارة، والاهتمام يملأ جوارحك، لتستفسر عن صحة أليس.

هاريسون : أجل. فوجدتها مفعمة بالنشوة بين ذراعي الزنجي. وكان أن تولاني شعور بالقرف. فأيقظت الآخرين وكانت فضيحة مكشوفة. لكنّ أليس لم تكن على ما يرام ولم تستعد وعيها تماماً. فلم نكن في طمأنينة بشأنها. وفي تلك الساعة مرّ رجال من الشرطة...

آراس : ومن الطبيعي أن تلقوا على جُوْ بكامل المسؤولية...

هاريسون : كلا، قلنا إننا لا نعرف شيئاً، وإننا نمنا... لو أننا شرعنا بقول كل شيء... كان لا بد من إنقاذ كرامة أليس. فسوف يتولى طبيب فحصها...

آراس : من المؤكد أنكم تصرّفتم بشهامة الفرسان!

هاريسون (وهو يرغب في الانتهاء بسرعة)**:** قام رجال الشرطة باقتيادنا جميعاً. وكانت ساعة استيقاظ الناس في هاتيسبورغ. لقد سخروا من النبأ: «فتاة فاضلة من ماغنوليا كورنرز تصرّفت بتهور حين قبلت دعوة القيام بجولة مع بعض الأصدقاء في سيارة. لكن السائق، وهو زنجي، نوّمهم حين مزج لهم مخدّراً مع الويسكي،

ليقوم باغتصاب الفتاة» . ولا حاجة لسرد ما تلا ذلك . إذ لا يستطيع أحد حيال مثل تلك الفضيحة أن يحول دون ما حصل .

المسجّل : ليس سكان هاتيسبورغ موضوع الخلاف . فهم ذوو نفوس طيبة . وقد ساورتهم مخاوف شديدة بشأن أليس ، التي كانت في وضع سيء جداً ، بسبب الويسكي بشكل خاص . فماذا تريدون من الشريف ورجال الشرطة أن يفعلوا؟ كانوا اثني عشر وكان الناس مندفعين في غضب جامح .

(صخب وصرخات : الزنجي! الزنجي! أخرجوا الزنجي! كان جو الملتجئ في إحدى الزوايا يؤدّي مشهد التعذيب إيمائياً) .

وعلينا أن نجد العذر لأليس . إذ لم يكن أمامها سوى حلّ واحد لإنقاذ سمعتها : جعل جُو يُقْتل! والواقع أنه لم يتمكن من اللهو مع أليس لأن هاريسون استيقظ مبكراً جداً .

هاريسون (نصف نائم) **:** ما من أحد بيننا وجد لديه الجرأة على التفوّه بشيء . وماذا بعد؟ لقد كسر الناس الأبواب فأخرجوا جو .

المسجل: لم يعد جو في الساعة الحادية عشرة سوى خرقة. (يخف النور). فوضعوه فوق برميل من البنزين. من كان أول من أشعل عود ثقاب؟ ومن اقترح فيما بعد تعليق الجسد المحترق على مصباح إنارة في الشارع، وهو أشبه بشعلة تلوّت على ذاتها؟

(يسمع الصخب أثناء عملية القتل العشوائي مع صرخات مخنوقة وحركة الحشد: السافل، الأسود. ثم تخف الصرخات لتمتزج بلحن حزين من موسيقى الزنوج وإنشاء كورس بشكل عميق ومؤثر. ثم يشتد النور من جديد بتدرج فينهض جو ويخرج ببطء رافعاً ذراعيه نحو السماء).

(فترة صمت ثم يرتفع النور)

المسجل: وعلى هذا النحو مات جو «تَبْ تَبْ» سميث. وأبقي الشبان في مفوضية الشرطة حيث وجه الشريف إليهم توبيخاً قاسياً: كيف تنامون على ذلك النحو وتدعون فتاة بين ذراعي زنجي؟

آراس (بلطف)**:** هاك يا هاريسون. اشرب قليلاً. فتلك الأشياء كلها تثير في نفسي التقزّز، صدّقني. ولا شك في أنّك أمضيت فترة مقيتة. غير أن الفقرة التالية ستكون أكثر مرحاً، إن لم مخطئاً. (يتذوق الويسكي).

لكن ما دمنا بهذا الصدد، يا هاريسون، كيف تدبرتم أمركم في تلك الليلة للحصول على تلك الكمية الكبيرة من الويسكي؟ كانت الأسعار باهظة: تذكر أنها كانت مرحلة التقشف التام! ولم يكن أصدقاؤك ميسوري الحال جداً؟

المسجّل: إنّ العمل الأول الذي أداه هاريسون أداء جيداً، والذي شكل مفتاح ثروته نفسها، هو تهريب الكحول. فبوسعنا القول إنه بدأ حياته المهنية بعمل إحسان حين قدم الشراب لأولئك الذين كانوا يشعرون بالعطش...

آراس: قضية الكحول هذه ليست مدرجة في البرنامج. أستميحك عذراً يا هاريسون فهناك كثير من الأشياء...

(يسمع طرق على الباب)

من يمكن أن يأتي في هذه الساعة؟

هاريسون: يستحيل أن نعرف ذلك بعد أن صرفتَ سكريتيراتي. قد يكون أحد الأشخاص الذين قمتَ باستدعائهم؟

آراس: لا بالتأكيد. لقد تلقوا التعليمات بالانتظار حتى أقوم باستدعائهم للدخول. سوف أرى. هل تأذن لي؟

(يخرج ليعود مندهشاً).

إحزر من جاء، يا هاريسون. إنّهم مستخدمو المتحف، ليس إلا. جاؤوا ليأخذوا لوحة. هناك محافظ متحف الميتروبوليتان ومعه موظفان اثنان.

هاريسون: ادعهم للدول فوراً.

آراس: دعني أوضح للجمهور حقيقة المسألة. سيداتي، سادتي. أستميحكم عذراً لأننا سننتزع من المشهد أمامكم أجمل زينة فيه. فهاريسون فيش، الذي سبق وقدم هدايا كثيرة لمدينة نيويورك، تخلّى لتوّه عن رائعة الفنان لوكاس كراناش البكر لمتحف الميتروبوليتان، حيث يسعكم التمتع بمشاهدتها قدر ما تشاؤون، بدءاً من يوم غد. فإزاحة هذه اللوحة تعتبر فقرة غير مدرجة في البرنامج مطلقاً، وخالية من كل فائدة. (يفتح الباب).

(يدخل محافظ المتحف والمستخدمان بلباسهما الرسمي)

المحافظ: أنت السيد هاريسون فيش؟

هاريسون: بعينه.

المحافظ: جئنا ننقل اللوحة التي قدمتها للمتحف. فهذه أوراقي الرسمية والإيصال الموقع من السيد المدير.

هاريسون (وهو يتفحّص الأوراق): كل شيء نظامي على أكمل وجه. بوسعكم أن تأخذوا اللوحة.

المحافظ: شكراً جزيلاً يا سيد فيش. هل يسعني أن أطلب أيضاً تسليمي الوثائق الأصلية الخاصة بهذه اللوحة؟

هاريسون: بالتأكيد. (يخرج إضبارة من جرار ويسلّمها للمحافظ) ها هي.

المحافظ: شكراً جزيلاً. سوف يعلمك السيد المدير غداً بموعد حفل استلام اللوحة الرسمي. شكراً مجدداً وإلى لقاء قريب يا سيد فيش.

هاريسون: إلى اللقاء.

(يخرج المحافظ والمستخدمان حاملين اللوحة).

آراس (وهو يفرك كفّيه فرحاً): أحسنت. وأنا أهنئك، يا هاريسون، لأنك محظوظ. ربما كان المشهد ضعيفاً بعض الشيء، لكن أثره على الجمهور كان ممتازاً. وأنا أعرف قيمة تلك اللوحة. فأنت رجل ذو قلب كبير. (هاريسون مستغرق في أفكاره، فلا يرد). آه. يبدو العرض التالي مخصصاً لك أيضاً.

(يتصرف آراس مثل مذيع يعلن عن مشاركة في مسابقة، فيدخل غلوريا ديكنسون، وهي فتاة إنيقة، وغبية جداً).

آراس : ويسرني غاية السرور أن أقدم لكم (هنا يضخّم صوته) الآنسة غلوريا ديكنسون. (يقول لها). طاب صباحك، يا آنسة ديكنسون.

غلوريا : طاب صباحك، يا سيد . . .

آراس : قولي لي يا آراس بكل بساطة.

غلوريا : طاب صباحك، يا آراس.

آراس : أحسنتِ! رائع جداً، يا غلوريا. - أتسمحين لي بأن أدعوك باسمك مع رفع الكلفة؟ - رائع جداً، وهذا ما يروق لي. أما الآن، فسوف تجيبين بثقة تامة، أقول بثقة تامة، على أسئلتي. أليس كذلك؟

غلوريا : نعم، يا سيد آراس.

آراس (يقول للجمهور)**:** تعمل الآنسة ديكنسون كضاربة على الآلة الكاتبة في مؤسسة هاريسون. وهي في الوقت الراهن مفتونة برب عملها. (يقول لها). هل ترغبين في أن تقولي لنا ما السبب، يا آنسة؟

غلوريا : السيد هاريسون لطيف جداً. لقد قدم لي هدية. وأنا أشكره عليها من كل قلبي.

آراس : حسن جداً. نحن نرى أنك صادقة. (يغيّر من نبرة صوته على نحو مباغت). وما رأيك برب عملك من بعد هذه الهدية؟

غلوريا : أعتقد أنه طيّب جداً وكريم .

آراس (يقول لهاريسون القابع وراء مكتبه) **:** أحسنت ، يا هاريسون ، فقد عثرت في شخص هذه الفتاة الجميلة على محام رائع للدفاع عنك . (لم تكن غلوريا بسبب ارتباكها قد لاحظت بعد وجودها هاريسون ؛ لكنّها أضحت عصبية جداً بعد أن وقع نظرها عليه) .

آراس : جئتِ على ذكر هدية ، يا غلوريا . فهل يسعك أن تخبرينا ما هي بالضبط ؟

غلوريا : الواقع . . . أنا سوف أتزوّج من رالف ، وهو واحد من سكرتيري السيد فيش ، فقدم لنا . . . الواقع ، لقد قدم لي هدية رائعة . . . هدية زواج . . .

آراس : ماذا قدم لك إذن؟

غلوريا : سيارة فاخرة ، على نحو ما تتمناه نساء كثيرات .

آراس : هذا رائع يا غلوريا ! فتهانيّ لك من أجل السيارة ومن أجل زواجك أيضاً .

غلوريا : إنها جميلة جداً ، لونها بلون الكرز . وهي لي وحدي .

آراس : وكيف ذلك؟

غلوريا : رالف لديه سيارة صغيرة لتنقلاته الخاصة . أما السيارة «لنكولن» فهي لي أنا .

آراس (بنفاد صبر) : هيا، يا غلوريا، نحن نشك في أن يقدّم المرء مثل هذه الهدية المكلفة، دون مقابل. فقولي لنا بوضوح ما جرى بينكما. فأنت فتيّة جداً وجميلة جداً وبوسعنا نحن أن نغفر لك إن كنت ارتكبت بعض أعمال الطيش البسيطة . . .

غلوريا : لكن بماذا تهرف؟

آراس : لا أقول إنّه وقع شيء خطير، بل أقصد أنّ من الممكن أن يكون السيد فيش قد أبدى حيالك ملاطفة . . . خاصة، كلا؟

غلوريا : آه، بلى. عانقني لكي يهنّئني.

آراس : ولا شيء أكثر من ذلك؟

غلوريا : لا شيء أكثر.

آراس (يتنهّد ثم يلفت صوب هاريسون) : وأنت، يا هاريسون، ألا تتذكّر تفصيلاً إضافياً يزيد من متعة احتوائك غلوريا بين ذراعيك؟

(هاريسون لا يقول شيئاً. ينظر آراس، مثبّط الهمة، صوب مكبر الصوت).

المسجّل : أثناء القبلة التي طالت، قام هاريسون فيش بملاطفة غلوريا وكفّاه تتحركان فوق جسدها ببطء، وبعدئذ . . .

(يحمرّ وجه غلوريا وينكّس هاريسون رأسه مغتاظاً)

آراس (وهو يفرك كفّيه بفرح ووقاحة) **:** طيب، إذن ما كان بوسعكما أن تقولا ذلك بكل طمأنينة، أنت أو هي، وأنت، يا آنسة غلوريا.

- «يا آنسة»! على كل حال - ألم تقومي بحركة مقاومة أو تنطقي بكلمة احتجاج؟

غلوريا : جرى ذلك بسرعة كبيرة. . . وبشكل مباغت جداً. . . لم أستطع أن أدرك، لم أستطع أن أقول شيئاً. . .

آراس : انتبهي، يا غلوريا. فهكذا ينتهي بالمرء المطاف على الدروب السيئة، من غير أن يدرك. وهذا ما جرى لفتيات صغيرات كُثُر من أمثالك. ورالف، هل فكرت به؟ أهكذا تستعدين للزواج من شاب مؤهل وكريم؟

غلوريا (باكية) **:** أتوسّل إليك. . . ينبغي أن لا يعرف شيئاً. . . لن أفعل ذلك أبداً. . .

آراس : حتى لو قدّموا لك سيارة؟ هيا، كفّي عن البكاء. ما حصل قد حصل. كوني حذرة للمستقبل. - والآن، هيا، ماذا ستغنّين لنا؟

غلوريا : الأغنية التي يردّدها كافة مستخدمين السيد فيش.

آراس: نحو مصغون إليك.

(يشغّل المسجل. يسمع لحن شارلستون)

غلوريا: «يا مستر هاريسون، هاريسون هاريسون، أنت بلا قلب، بلا قلب، بلا قلب...».

(يسمع صوت الجرس)

آراس: معذرة، يا غلوريا. لكنّهم خدعوك. فأنت مضطربة وغناؤك مغلوط. والسيد هاريسون يغتاظ... فقلبه... بالمناسبة، يا غلوريا، لماذا لم تقولي «السيّد» هاريسون على نحو ما نقول جميعاً؟

غلوريا (مشوّشة)**:** ذلك أن... أنا لست غلوريا ديكنسون. ولا علاقة لي بكل هذا. أنا لوسيل غونزالس وأعمل ضاربة آلة كاتبة عند أميركيين. والمستر سميث، أدعوه دوماً بالمستر.

آراس: شيء مؤكّد. ومن الطبيعي أن تكوني أخطأت. اعذريني على هذا السؤال، لكن لا يسعني ألاّ أطرحه عليك. وقد يكون في الأمر مصادفة. ألا يمكن أن يكون السيد سميث قد قدّم لك سيارة؟

غلوريا: ليس السيد سميث غنياً بما يكفي لذلك. ولا يستطيع أحد القيام بذلك سوى السيد هاريسون...

آراس: لكن يا غلوريا، أقصد يا آنسة غونزالس، ماذا قلت لنا الآن؟

غلوريا: إنّ السيد سميث لم يقدم لي سيارة قط.

آراس: لن ننتهي من ذلك إلى حل. ويمكنك أن تنصرفي. وشكراً على مساهمتك. (تمضي). لحظة! نسيت شيئاً. لقد خدعوك، لكني سأقدم لك هدية على سبيل الذكرى. ولن تكون إلا مصادفة أخرى. إذ يسرني أن أقدم لك سيارة. أجل سيارة. (يخرج من جيبه لعبة طفل). لا تخافي. لا خطر مطلقاً. لا يسعك الذهاب للتجوّل فيها، لكنها ستجد مكاناً لها على منضدة هندامك. انظري أنها تنفتح من هنا لتوضع فيها أقلام أحمر الشفاه ومرآة صغيرة وعلبة للمساحيق والزينة...

غلوريا: شكراً جزيلاً يا مستر آراس.

آراس: «يا سيد»، من فضلك. طاب مساؤك... وبالانتظار، يا غلوريا. أقصد يا آنسة غونزالس، حذار من الدروب السيئة.

(تخرج غلوريا على مهل).

هاريسون (وهو يكظم غيظه)**:** أنت تسيء استخدام سلطتك. فلم وقع اختيارك على غلوريا تحديداً؟

آراس : لقد استمتع الجمهور كثيراً. وقد يجد بعضهم أني كنت متطرّفاً بعض الشيء حيالها، لكن ذلك سينفعها. فأمر مستقبلها يهمّني كثيراً، وزواجها من رالف مسألة باطلة. لأن رالف واحد من حملان الله أما غلوريا فهي كرة تائهة.

هاريسون : لماذا لم تستدع هنري أو جون سيمونز أو باتسي؟

آراس : لا تثق بهم كثيراً.

هاريسون : ليسوا بقادرين على قول أي شيء ضدي.

آراس : قد لا يستطيعون. لكن هناك المسجّل. فلننتقل الآن إلى فقرة أكثر فظاظة. فقرة شعوذة تقريباً وسحر إضافي. فقرة طفولة. اعذرني لحظة. (يخرج آراس. يمر هاريسون بيده على جبينه كمن يرغب في الاستيقاظ من حلم مزعج. يرجع آراس فيغلق الباب بهدوء).

آراس (يقول للجمهور) **:** الفقرة التالية تدعى: «المغيَّب في الهدسون» ولقد كثّفناها حتى الحدّ الأقصى. فانتبهوا من فضلكم.

(ينضم آراس إلى هاريسون من الناحية المواجهة للباب ويدخنان. النور يغدو شديداً يرافقه دقّ خفيف على طبل. ينفتح الباب بصرير ليدخل منه دينيس أوهارا بلباس شرطي. عيناه مغضمتان وليس فيه ما يوحي بأنّه شبح سوى شحوبه الشديد جداً. إنه في الخامسة والعشرين. يتقدّم بتمهّل ويتكلّم بصوت فيه عذوبة).

دينيس أوهارا: أنا الشرطي الذي لعب لعبة الغمّيضة. ما جئت لأخيف أحداً فحساباتي صُفّت من زمن بعيد. رغبت في العودة فقط ليعرفوا سرّ موتي ويتبرّع شخص محسن بأبلاغه لوالدتي. فالمسكينة جلست تنتظرني على العشاء ذات ليلة. لقد بلغت الآن الخامسة والثمانين وهي ما تزال تنتظر رجوعي... أنا اختفيت من هذا العالم. ففي حدود عام ١٩١٠، انتشرت عصابة من الفتيان الفاسدين والمنحرفين، بين الشوارع ١٤ و٢٢ القريبة من البحر، وهي معروفة تماماً في حوليات الشرطة في نيويورك. ورغبة مني في الانتهاء من شرورهم، سعيت لعقد صداقة معهم. تلك كانت فكرتي. وعرض عليّ زعيمهم أن يدخلني في العصابة بشرط أن أخضع لبعض طقوس الانتساب، ومنها أن

أشارك في لعبة الغمَّيضة. فحوادث السرقة تناقصت، وتناقصت معها حالات كسر الألواح الزجاجية ومصابيح الشوارع. وكنت سعيداً لظنّي أني قد أعدتهم إلى جادة الصّواب. لكنّهم خدعوني خدعة كبرى في يوم انتسابي. وأعترف هنا أني تصرّفت بكثير من سلامة الطويّة. لقد اصطحبوني إلى مكان معزول، عند حلول الظلام، فعصبوا عينيّ. وقاموا برفع واحدة من تلك الدوائر الحديدية الكبرى التي تغلق فتحات تصريف المياه فأسقطوني فيها. وتواريت مثل من يقع في فتحة باب أرضي قلاّب.

(يتوارى فيعود النور طبيعياً)

آراس: وعلى ذلك النحو سقط دينيس أوهارا في الفخّ الذي نصبه له الأولاد.

المسجّل: لقد جرى اختيار الموقع بعناية فائقة. لأنه يشكل إحدى نقاط التجمع الرئيسة لمصارف مياه نيويورك. وحمل سيل من المياه السوداء جثة أوهارا حتى الهدسون. فمكثت في أعماق النهر إلى الأبد، أسيرة، وسط ركام قناة قديمة مهجورة. أما زعيم تلك العصابة من الأولاد، وواضع مخطط تلك الجريمة المتقنعة، فليس سوى هاريسون فيش الحاضر هنا.

آراس: ورغبت في أن يكون هو نفسه الذي يتولّى إعلام السيدة أوهارا بمصير ابنها.

(يتوجّه صوب الباب فيقف جامداً وقد بدا عليه التأثّر)

سيداتي، سادتي. هناك نبأ سيء. لقد ارتكبنا إهمالاً قاضياً. فحين دخل شبح دينيس أوهارا، نسينا أن نغلق الباب وراءه. وكان من شأن ذلك أن قرّبت أمّه مقعدها المتحرك كثيراً، فسمعت، بل ربما أيضاً رأت كل شيء. فقضت السيدة أوهارا نحبها داخل الكواليس، وليس على خشبة المسرح على نحو ما توقعت أنا. تلك كانت الفقرة التالية من برنامجنا، فلنعتبرها في حكم المنتهية. والحال أفضل هكذا، لأنّنا تفادينا المبالغة في العرض التراجيدي. فعلينا أن نضع ذلك في الحسبان. نظراً لأهميته، فنتناسى إغلاق الباب في العروض المقبلة، فنستغني عن مشهد مضن لامرأة عجوز في مقعدها المتحرك، تأتي لتسأل وتبكي وتموت. بالإضافة إلى أننا سنحقّق كسباً في الوقت. فلنتابع.

(يرن الهاتف)

هاريسون: هاك، حسبت أن الهاتف مقطوع؟

آراس: هذا في الواقع. لكن لا بد أن يكون الأمر هاماً. قُم بالرّد.

هاريسون (يرفع السماعة ونفسه مليئة بأمل غامض): ألو. نعم. نعم، تكلموا... كيف؟... ماذا؟... اللوحة؟... لكنّهم جاؤوا... منذ عشرين دقيقة... أجل، معهم أوراق نظاميّة وإيصال موقّع... سارقون؟... أجل، سأستدعي الشرطة... محققي المتحف... أجل، على الفور.

(يضع السماعة)

يا إلهي! سرقوا لي لوحة كراناش! هل تسمع؟ الذين جاؤوا كانوا لصوصاً...

آراس (بهدوء شديد): أرجوك. اطمئن. فعمل فني لا يضيع على هذا النحو. تذكر الجوكوندا. حسبوها فقدت وانتهى بهم الأمر إلى العثور عليها.

هاريسون (يحاول الاتصال): ألو!... ألو!... ألو!...

(يتهالك على الكنبة منهاراً)

آراس: هاريسون! كيف لرجل مثلك أن يصرخ ويتخاذل من أجل لوحة بل هي لم تعد ملكاً لك.

هايسون: كيف لم تعد ملكاً لي؟ اشتريتها بمئة وخمسين ألف دولار!

آراس (بعذوبة): لكنّك وهبتها للمتحف.

هاريسون: لكنّها تبقى لي في كافة الأحوال. ففي متحف الميتروبوليتان يضعون رقاقة معدنية صغيرة تحت اللوحات . . .

آراس (هازئاً): آه، بلى. الرقاقة الصغيرة . . . لا تشغل بالك. سأحرص على أن توضع الرقاقة الصغيرة وعليها اسمك مع كل . . .

هاريسون (بشكل مباغت): إذن أنت الذي دبّرت السرقة! فأنت لص ّ بالإضافة إلي كل شيء!

آراس: غير أنك لا تظن أني أعددت هذا المشهد فقط لأحوّل انتباهك وأخرج لوحة لوكاس كراناش من مكتبك في ذات الوقت؟

هاريسون: إذن قل لي ماذا فعلت بلوحتي؟

آراس: إنها في كان مضمون. فأنا كما ترى أحب الأعمال الفنية كثيراً. ولوحتك الآن موضوعة في قبو مطعم ومشرب، والمكان ليس بذي شهرة تذكر. فإذا ما عثر عليه المحققون كان ذلك إنجازاً عظيماً.

هاريسون: سوف يعثرون عليه، ثق بذلك.

آراس: سيعثرون عليه إذا ما جعلتهم يمكسون بطرف الخيط في الوقت المناسب. أما الرقاقة فسوف توضع . . . سوف توضع . . .

هاريسون: هذا وعد؟

آراس: إنه وعد. . . رغم أني. . . كنت أفضل تنظيم عملية بيع خيرية أو بيع بالمزاد، أجل. . . (بإلهام مباغت) ولم لا يكون ذلك الآن؟

هاريسون: ماذا تقول؟

آراس: المناسبة مدهشة. فالصالة فيها جمهور برهن لنا على أنه يجيد تقدير الأعمال الفنية. . . سيداتي، سادتي، في متناول يدكم الآن فرصة يستحسن ألا تفوتكم. والفرصة تتمثل في أن تحملوا إلى بيتكم تلك اللوحة الرائعة للفنان لوكاس كراناش البكر، والتي كانت على ذلك الجدار قبل قليل، من بعد أن انتزعناها من أيدي متحف الميتروبوليتان.

هاريسون: تمهّل، تمهّل. . . لم تعد تلك اللوحة لي ولا لك. . . لم يعد ممكناً أن تصير ملكاً لأحد. . .

آراس (يمسك بزجاجة الويسكي من عنقها ويضرب بها ثلاث ضربات على المكتب) للبيع بالمزاد العلني! لوحة للوكاس كراناش البكر، مرسومة على أرضية من خشب لا يتغيّر، محقون بخلاّت السلولوز، بارتفاع مترٍ وستين وعرض سبعين، وتمثّل أمّنا حوّاء من قبل

طردها من الفردوس. وسوف نسلّم المشتري المحظوظ الوثائق التي تثبت أصالة اللوحة. افتتاح البيع: عشرون ألف دولار. (دقّات طبول متسارعة وصنجات). أجل، أيها السادة، ها أنتم سمعتم بوضوح: إنها أحد أعظم الأعمال الفنية في العالم مقابل مبلغ هزلي يعادل عشرين ألف دولار.

هاريسون (أمام صمت الجمهور): أعتقد أني سأظل مالك اللوحة.

آراس: لا تحسبني ساذجاً. يمكن بالتأكيد أن تظل في النهاية محتفظاً بلوحة لوكاس كراناش، لكن لا بد من إعطاء دفعة للمزايدة بروح متحررة وحماس. ذلك أن لدي فريقاً من المزايدين، بالإضافة إلى الجمهور المحترم. (يدير زراً فتسمع همهمة الجمهور وأصوات رجال ونساء يقومون بالمزايدة). عشرون ألفاً وخمس مئة دولار... واحد وعشرون ألف دولار... اثنان وعشرون ألفاً وخمس مئة... ستة وعشرون ألفاً... سبعة وعشرون ألفاً... ثمانية وعشرون ألفاً وثمان مئة... تسع مئة... تسعة وعشرون ألفاً... ثلاثون ألف دولار.

آراس (للجمهور): هل هناك من يزيد؟ . . . لا أحـد؟ ذلك غير ممكن؟ لا أحد؟ أهكذا يقدّرون اليوم الأعمال الفنية الخالدة؟ وأنت، يا هاريسون، هل تدع تلك اللوحة تفلت منك نهائياً؟

هاريسون (المنساق ضمن اللعبة، بشكل لا يمكن تفسيره، هاريسون الذي اختلط صوته بصوت المزايدين الأوائل يتمتم متلعثماً): واحد وثلاثون ألف دولار.

هاوية التحف (وهي تنهض من مقعد أمامي): اثنان وثلاثون ألف دولار.

هاوية التحف (غير بعيد عنها): ثلاثة وثلاثون ألف دولار.

هي: أربعة وثلاثون ألفاً.

هو: خمسة وثلاثون ألفاً.

هي: ستة وثلاثون ألفاً.

هو: سبعة وثلاثون ألفاً. (آراس يصفق كفاً بكف. هاريسون ينتظر اللحظة ليقول الكلمة الأخيرة).

هي: سأضع على الدوام ألف دولار زيادة عليك.

هو: ثمانية وثلاثون.

هي: ألف زيادة . . . إن حوّاء جزء من ثلاثية . . .

هو: أما أنا فآدم . . . تسعة وثلاثون ألفاً . . .

هي: وأنا الحية . . . أربعونَ ألفاً . . . سأدفع على الدوام أكثر منك حتى لو اضطررت لأن أبيع نفسي للشيطان . . . أنا أقوم بتجميع الثلاثيات .

هو: أما تلك الثلاثية فلن تكمليها أبداً . . . اثنان وأربعون ألفاً . . . لدي غير ذلك لوحتان من ثلاثية أخرى لبوتيتشلي ، الأسرة المقدسة . . . ينقصني الطفل فقط . . . خمسة وأربعون ألفاً .

هي: ها أنت أخيراً! فلوحة الطفل لديّ أنا . . . ستة وأربعون ألفاً . . .

آراس: أطلب من المزايدين بإلحاح الكفّ عن الكلام في شؤون شخصية وإعطاء رقم الزيادة فقط . هيا! وقفنا عند ستة وأربعين ألف دولار . وما يزال أمامنا درب نسير عليه .

هو (من بعد حساب داخلي)**:** خمسون ألف دولار .

هي (تذهب بغنج نحو هاوي التحف)**:** لنشتر اللوحة لنا معاً .

هو (هو بشهامة وشيء من المكر)**:** ونكمل الثلاثية .

هي (بحشمة)**:** إذا شئت أنتِ .

هو: وتمنحيني طفل بوتيتشلي؟

هي: . . . أجل . يا سيدي . . .

هو: اسمي إميت سمبلتون ، وعلى استعداد لأداء أية خدمة تريدينها . . .

هي: سعدت بالتعرف عليك. اسمي بربارا ويدعونني بابي. (تقول لآراس) أنا والسيد سمبلتون سوف نشتري اللوحة. . . معاً.

آراس: طيب (للجمهور) هل من مزيد؟ خمسون ألف دولار؟ هل من مزيد؟ أقضي بالتمليك. (يوجه الضربة الأخيرة على المكتب بزجاجة الويسكي). (يقول للاثنين). هل يمكن أن تتفضلا بالصعود إلى خشبة المسرح لإتمام الإجراءات؟ (يصعدان).

هي (تفتح محفظتها): آه! يا إلهي! نسيت دفتر الشيكات! ألا يسعك أن تقرضني خمسة وعشرين ألف دولار حتى صباح الغد؟ كما يسعنا، أن كنت تفضّل ذلك، أن نتعشى معاً في بيتي هذا المساء، ونحن خارجان من المسرح.

هو: بكل سرور يا سيدتي، وأنا سعيد جداً بالتأكيد، فشكراً جزيلاً. (يوقّع شيكاً ويقدمه إلى آراس).

هاريسون (يقول للهاويين): ألم يخطر في بالكما أنّ اللوحة يمكن أن تكون مزوّرة؟

هي: شكراً على هذه الملاحظة الودية، غير أني في مأمن من حادث من هذا النوع. فلدي تأمين بقيمة نصف مليون

دولار، وكلما اشتريت نسخة بدلاً من الأصل تقوم شركة التأمين بدفع القيمة.

آراس: تهانينا. فالمرء لا يأخذ حيطة كبيرة قط حيال اللوحات القديمة. فهل تذكر يا هاريسون تلك المرة التي خدعوك فيها بشأن لوحة المادونا لليوناردو؟ (يحني هاريسون رأسه ويضع يده على قلبه، حوار صامت بين الهاويين طول فترة حديث آراس). سيداتي، سادتي. سأستخدم مال المزايدة لإخراج فيلم عن حياة هاريسون فيش المثالية. فهل تتخيلوا مدى الفائدة التي يمكن تحقيقها من قصة حياته بواسطة السينما؟ أما إذا جمعتُ العناصر الكافية فأعدكم بأن أصوّره بالألوان (الهاوية تشير إليه بالاقتراب وتهمس في أذنه بشيء. يشرق وجه آراس بصورة مبالغ بها). تخيّلوا ما حصل هنا للتوّ! لقد قررّا أن يتزوّجا ويسرّهما أن يحيطاكم علماً بخطوبتهما... أجل أيها السادة، وفي عشر دقائق ليس إلاّ، انتقل السيد والسيدة سملبتون - اسمحوا لي بأن أكون أول من يدعوهما بهذا الاسم - من الخصومة الفنية إلى مباهج الحب... نحن نهنئكم من أعماق قلوبنا أيها الأصدقاء الأعزاء، وكنّا نود مواصلة

التحدث معكم لولا أن علينا متابعة البرنامج بسرعة. هل يكن أن تتكرّما . . . (يتوجه الهاويان نحو الصالة). كلا، ماذا تفعلان؟ بل تعالا من هنا . . . (يقودهما نحو باب في الصدر). من هناك. الباب الثاني على اليمين . . . إنها قاعة صغيرة وجميلة، وذات جو دافئ وحميم، مجهزة خصّيصاً من قبل هاريسون فيش . . . بوسعكما بدء شهر العسل فوراً . . .

(يخرج الهاويان مبتسمين على أنغام موسيقى تعزف لحن مشية العروسين).

آراس (وهو ينظر في ساعته): يا إلهي! لم يعد لدينا سوى الوقت الكافي للانتقال إلى قصة مايبي. استعدوا من فضلكم، فهي الواقعة الأكثر أهمية في هذه السهرة.

هاريسون (متعباً): مايبي؟ . . . سوف تأتي مايبي إلى هنا؟ . . . وكيف؟ . . . فتيَّة أم عجوزاً؟

آراس (بقسوة): لا فتيَّة ولا عجوزاً. مايبي لن تأتي.

هاريسون (بأمل): هل تحذف الفقرة.

آراس: على الإطلاق. سوف ترى زوجها.

هاريسون (بذهول): وما علاقتي به؟

آراس: سوف تتفاهما على أحسن وجه. فهو يحمل أوراقاً نظامية، تؤهله القيام بكافة الأعمال باسمها... إذ يتوجب عليك أن تدفع له تعويضاً صغيراً. لأن مايي تتلقى العلاج في أحد المصحّات.

هاريسون: تلك المغامرة مقيتة جداً بالنسبة لي. سوف أدفع التعويض عن طيب خاطر. قل لي كم ينبغي، لكن احذف الفقرة... أرجوك أن تفعل ذلك من أجلي.

آراس (بروح موظف نظامي جداً)**:** علي أن أفعل شيئاً من أجل زوج مايي، لا من أجلك أنت. وهو ينتظر. لقد جاء من مسافة بعيدة جداً. وقد علّق عليك كافة الأوهام. إنه مفلس تماماً ومصيره الآن معلق على حكاية حب قديمة. سوف أجعله يدخل من بعد استئذانك.

(يفتح الباب)

أدخل.

(يقول للجمهور) إنّه السيد روسكوي هاميلتون.

(يظل روسكوي هاميلتون التائه، واقفاً عند العتبة. وهو في الخمسين مظهره عادي جداً. أنفه محمرّ وعيناه معكّرتان. يترنّح كمن يمشي وهو نائم وعليه مرح سكّير. وكل ما فيه دبق: روحه وجسده وحركاته وصوته. يمسح وجهه المتعرّق

بمنديل كبير. له شاربان مهملان وملابسه مدعكة ومجعدّة. يسمع صوت أغان قديمة يرافقها عزف على آلة البانجو).

روسكوي (كأنّه في حلم): حلمت على الدوام بأن أستقرّ في نيويورك. . . طاب يومك يا سيد هاريسون.

هاريسون (بجفاء): طاب يومك.

روسكوي: أعذرني، فلست على أحسن ما يرام. أناحلمت دوماً بأن أستقرّ في نيويورك. . . لكني أشعر أني لست على ما يرام. . . إنّما السبب ذلك المصعد الملعون.

هاريسون (لمجرد الإجابة فقط): جئت إذن من غير امرأتك؟

روسكوي: أعذرها، فهي لم تقوَ على المجيء. يا للمسكينة! إنّها في أحد المصحّات. فرأسها ليس على ما يرام! لكن كن مطمئناً، فالدار حالها حسنة.

هاريسون: ولا بدّ أن يكلّف ذلك مالاً كثيراً، أليس كذلك؟

روسكوي: بلى، إنه مكلف! لكن ما كان بوسعي أن أدع مابي تحتجز في مصحّ، كيفما اتفق، ويسعدني أن تصدّق كلامي.

هاريسون (عازماً على الانتهاء منه بسرعة): وكم يكلّفكم ذلك؟ أنت تعرف أني على استعداد لتقديم العون إلى مابي.

روسكوي: كم هو مدهش أن تتذكّر بعد كل هذه السنين، ونحن نشكرك على كل حال. وكما يقول المثل فضلٌ متأخر خير من العدم.

هاريسون: كم يكلف ذلك المصحّ؟

(آراس يراقبهما وهو جالس في كنبة).

روسكوي: دعني أهنئك أولاً على إقامتك الممتازة. فأنا رجل أعمال أيضاً. وقد حلمت على الدوام بأن أستقرّ في نيويورك. هلا قلت لي، إن كانت إيجارات الأمباير غالية جداً؟

آراس (بدافع المساعدة): يستطيعون في إدارة المبني أن يقدّموا لك كافة المعلومات. وسوف يكون طابق بحاله فارغاً عما قريب.

روسكوي: حلمت على الدوام بأن أستقر في نيويورك، وأعتقد أن ذلك ما افتقرت إليه لتحقيق ازدهار كبير. . .

آراس: طابق فارغ في الامباير يمكن أن يكون ملائماً لك.

روسكوي: غير أني أجّلت ذلك على الدوام، من عام لآخر، حتى لم يعد لدي الآن النشاط الكافي لأشقّ درباً لي في برج بابل المخيف هذا.

آراس: مافات قط أوان البدء.

روسكوي: اعلم يا فيش، وأنت تراني في هذه الحال، مستعداً لقبول عون كريم، أنّ السبب لا يعود إلى نقص مواردي.

هاريسون (بنفاد صبر): أحذّرك من أن معونتي موجّهة إلى مايي، حصراً. واسمح لي بقول ذلك، فليس لي من علاقة بك مطلقاً.

روسكوي: كم الأمر عجيب! هذا فيما أعتقد أنّ عليك حساباً تصفّيه معي أنا. وأحمل في جيبي، على كل حال، بعض الأوراق التي تخولّني أن أتسلّم أموالاً تخصّ مايي وأديرها باسمها. أتريد أن تراها؟ منذ البداية حسبت أنّ مساعدتك ستقوم على. . . (يؤدي حركة تعني المال) أنت ترى ماذا أقصد؟

هاريسون: هيا إذن إلى الهدف مباشرة. ولست أرى أن الحيرة تستبدّ بك كثيراً. فكم تريد؟

روسكوي: أستحلفك بالله يا هاريسون! من تظنّني؟ أتحسبني مبتزاً؟ لا ينبغي أن نتسرّع كثيراً.

هاريسون: ليس لدينا من شيء آخر نتبادل الحديث بشأنه.

روسكوي: وهذا ما يوقعك في الخطأ. إذ لا يسعك أن تعرف كم شقّ على قرار المجيء إلى هنا. وقد جهد محاميك

كثيراً لإقناعي. أما بعد، فكل شيء نجم عن خطئك أنت. وليس ما يمنع أن أحقّق أنا شيئاً من المنفعة.

هاريسون: لست مسؤولاً عن زواجك من مايي.

روسكوي: لست مسؤولاً عن الزواج. كلا. لكنك مسؤول أمام سعادتنا. فكيف للمرء أن يكون سعيداً مع امرأة تعرّضت لمثل ذلك التلف؟

هاريسون: كم يلزم لعلاج مايي؟ كم تبلغ كلفة ذلك المصحّ حسب رأيك؟

روسكوي (يرى علبة لنوع من السيجار فوق المكتب): اللعنة، أنا أغبطك. إذ لا أستطيع أن أسمح لنفسي بشيء من هذا القبيل حتى في يوم عيدي. (يأخذ سيجاراً) هل تسمح؟

هاريسون (مغتاظاً): أتريد أن تقول لي للمرة الأخيرة كم يكلّف ذلك المصحّ؟

روسكوي: أنت تظن أنّ كل شيء قابل للتسوية بالمال. الأمور تسير غالباً على هذا النحو، طبعاً. لكن من عساه يقوى على إصلاح حياتي، حياتي المحطمة؟ لست أنت على ما أفترض. إنّ مريضة مثل مايي تُفتدى بالعينين. ولقد آلت أعمالي إلى الإنهيار بسببها.

هاريسون: قلت لك إنّي مستعد لمساعدتكم.

روسكوي: ومن بعد؟ ما نفع الزواج ما لم ترزق بولدين أو ثلاثة يجعلون حياتك أكثر عذوبة؟ إني تصرفت على نحو سيء لأني لا أجد أحداً أمامي لأضرب له المثل الصالح. لو أنّ لي إبناً، ما احتجت لأن أمدّ اليد هنا... ولقد حلمت على الدوام بأن أستقرّ في نيويورك.

هاريسون: لكنّ هذا ما لا علاقة لي به مطلقاً!

روسكوي: أنت المسؤول عن كل شيء، وهذا ما دعاني لأن أقرّر المجيء إلى هنا، لأطلب منك تعويض عطل وضرر. لقد بقيت مايي عاجزة تماماً بعد الحادث الأول الذي أصابها.

هاريسون: وكيف ذلك؟

روسكوي: لا ألومك على الأمر لوماً شديداً، إذ لم يكن لديك على الأرجح كفاية من المال آنذاك. أما المسكينة مايي، فإنّ صديقها الطالب قد قتلها تقريباً.

هاريسون: ماذا تقص عليّ؟

روسكوي: لا تتصنّع الغباء. صديقها الطالب في كلية الطب، والذي ساعدها على الخروج من مأزقها. قام بتسوية

الأمور مقابل مبلغ ضئيل. غير أنّه تركها عاجزة إلى الأبد. لقد رغبت على الدوام في أن ترزق بطفل، لا سيّما من زوجها الشرعي؟

هاريسون: عليك أن تدرك أنّ الحوادث تقع في كل مكان. ويمكن لأفضل طبيب أن يقع في الخطأ . . .

روسكوي: لا شك في أنّ الحوادث تقع في كل ساعة. لكن هناك على الدوام واحد يدفع عن الآخرين. وأنا قد دفعت عنك.

هاريسون: أنت ترى أنّي على استعداد لمساعدة مايي.

روسكوي: أجل، بحفنة من الدولارات. ألا قل لي، ما هي المئة دولار شهرياً بالنسبة لرجل مثلك؟ إنها شعرة واحدة تنتزع من فروة قط. أقول شعرة واحدة! إنها ذرة غبار تزاح عن شعرة واحدة من فروة قط، ذلك ما تمثله بالنسبة لك يا سيد هاريسون فيش . . .

هاريسون (بلا مبالاة): وماذا يسعني أن أفعل غير ذلك؟

روسكوي:. ألا تساوي شيئاً حياة إنسان بالنسبة لك؟ حياة رجل يحتاج لأن يشرب كأساً بين وقت وآخر، من أجل أن يغمض عينيه ويواصل الحياة . . .

هاريسون: أنت ثمل، ولا تدري ما تقول.

روسكوي (على وشك البكاء) : كانت حياتي كئيبة جداً!
فليس من أحد لأبوح له بمتاعبي. إنّي وحيد. وليس هناك سوى بوب. فهل تعرفه؟ بوب كولينز، صاحب الحانة الصغيرة بجوار بيتي . . .

هاريسون: ألا يسعك أن تصمت قليلاً؟ تحدث فقط على المسألة التي جاءت بك إلى هنا.

روسكوي: لن تقوم بطردي لأنّي راغب في أن أقصّ عليك متاعبي؟

هاريسون: متاعبك لا تعنيني.

روسكوي: لكنّها جاءتني بسببك! لا تحسب أنّي لا أحسن فهم الأشياء. لقد ارتكبت خطيئة في شبابك. لكنك دمّرت أيضاً روح مايي، وهذا ما لا تُسدَّد قيمته بالدولارات.

هاريسون: لا تقبلها إذن.

روسكوي: وهذا ما يلائمك، أليس كذلك؟ ماذا تعطي لو جئتك متذرِّعاً بكرامة مهرج، فرميت مالك في وجهك؟ لكن لي كرامة، حتى لو خامرك الشك بشأنها، وسوف تدفع من أجل كرامتي.

هاريسون: كل امرئ يحيا الحياة التي يستحقّها.

روسكوي: في هذه الحال أنت تستحق أن تلتقط أعقاب السجائر من أرض الشارع.

هاريسون: إخرس وإلا أخرجتك من هنا!

روسكوي: طيب، طيب... أنت تحسب أنّ قيمتك أكبر من قيمتي، غير أنّك مخطئ. فأنا، على نحو ما تراني، ثملاً، أطلب الصدقة، أفضل منك. وهذه اليد التي سوف تتلقّى مالك، مددتها للمرأة التي رميت بها في الوحل، ذلك أنّي، إذا كان علينا أن ندعو الأشياء بأسمائها، قد انتشلت مايي من الوحل. وليست غلطتي أنا، إن كانت قد واصلت السير على الدروب التي رسمتها أنت لها، حتى عندما توفّر لها ما يكفي لتأمين طعامها ومأواها.

آراس: من فضلكم! أوقفوا الجدال وأصغوا. سوف نسمع حواراً ممتعاً لنا جميعاً. لحظة...

(تسمع موسيقى ثم أصوات مايي وهاريسون في سن الشباب).

مايي: هاريسون، هاريسون، ما بك؟

هاريسون: أنا حزين، يا مايي، حزين جداً.

مايي: ألا تحبني؟

هاريسون: أنا أعبدك، يا مايي، أنا أعبدك، لكنّي حزين.

مايي: ولماذا يا هاريسون؟

هاريسون: لأنّي لا أستطيع الزواج منك بالسرعة التي أرغب فيها.

(يسمع هاريسون وهو يغنّي «في كوخ صغير»)

مايي: يا لها من أغنية جميلة! (تغني بدورها)

في كوخ صغير
عند شاطئ النهر
سأبقى معك يا حبيبي
حتى نهاية العمر . . .

سوف أنتظر حتى تصبح قادراً على أن تتزوجني، يا هاريسون.

هاريسون: أتزوّجك . . . هذه أغلى أمنية على قلبي . . . إنّي أتألّم كثيراً لأنك لست ملكاً لي منذ الآن . . .

مايي: وأنا، أتعتقد إذن إنّي لا أتألّم؟ إنّي أحلم بذلك . . .

هاريسون: أصغي، يا مايي. الإنتظار، بالنسبة للرجل، صعب جداً. وأنا أودّ أن أظلّ طاهراً. أن أحفظ نفسي لك. (روسكوي هاميلتون يلقى العناء حتى لا يضحك). لكني أخشى أن أفعل مثل الآخرين، وأن أعاشر فتيات سمعتهن سيئة. عندئذ سأصبح ضائعاً، ملطخاً بالعار. ولن أغدو جديراً بك.

مايي: لِمَ تتكلم على هذا النحو؟ سوف أعتني بك وسأفعل الكثير حتى تنسى الأخريات جميعاً، كي لا تبقى إلاّ لي . . .

هاريسون: أنت لا تحبّيني على نحو ما أحبك. وإلا ما كنت تركتني أعاني كل هذا العذاب من أجلك . . .

مايي: أنا لا أريدك أن تعاني من أجلي، يا هاريسون. هيا عانقني . . .

المسجّل: فكروا، سيداتي، سادتي، في أنّ هذا الحوار كان دائراً بين شابين فتيّين جداً وعمرهما على التوالي سبعة عشر عاماً واثنان وعشرون. وكان ذلك في ضحى يوم ربيعي، داخل زورقهما المنزلق بليونة فوق مياه النهر الساكنة، فهل هناك ما يدهش في أن تسلّم مايي نفسها لهاريسون بعد فترة قصيرة عند المساء وفي الزورق ذاته؟

روسكوي: مادام ذلك عند مساء جميل وفي زورق ينساب فوق النهر . . . ذلك مدهش حقاً! (يقول لهاريسون) كنت تبغي أن تظل طاهر الذيل! وأن لا تبدّد شبابك مع فتيات يعشن حياة ماجنة! أيّة رومنسية تلك! كنت راغباً في البقاء طاهراً بين ذراعي صديقتك مايي، كلا! أمّا من

بعد، فليأخذها الشيطان. أو أن يأتي أحمق مثلي فيتزوّجها! لكني فكرت: ربما هناك أخريات لا قين نفس المصير؟ فهل فكرت بهن قليلاً، يا هاريسون؟ أم أن مايي تمثّلهن جميعاً؟ فيكون ذلك بمثابة حلّ اقتصادي . . .

هاريسون: هلاّ لزمت الصمت أيّها الغبي!

روسكوي: أنا أقل ذكاء منك بكثير يا هاريسون. وأعترف بذلك. إني أغبطك، فأنت تتمتع بما ندعوه بالتقنية. أحسنت! وفيما كنا نحن نقصد فتيات من فئة النصف دولار، كنت أنت تبحث عن صغيرات بريئات مثل مايي. وتقصّ عليهن جميعاً ذات الحكاية:

«في كوخ صغير
عند شاطئ النهر . . .»

هاك الحقيقة، أنت تثير قرفي. لكنها الحياة. وما أنا سوى أحمق. وأنا لم أعرف في حياتي ما معنى البكر. فحين تزوّجت، كانت مايي من نصيبي . . .

هاريسون (يهجم على روسكوي فيمسك به من قبة سترته ويهزّه)**:** ألن تخرس؟

آراس (يفرّق بينهما) : إهدأ، يا هاريسون. فمن واجبي السهر على سلامة السيد هاميلتون.

هاريسون : إذن فليخرس وإلا . . .

آراس (بهدوء) : وإلا ماذا، يا هاريسون؟ لا تجعلني أقسو. بقي أمامك وقت قصير فلا تبدّده بقول الحماقات . . .

هاريسون (مرهقاً) : أَخْرِس هذا الغبي . . .

آراس: لم يبق لديه، حسب ظني، من شيء يقوله.

روسكوي (متحيراً) : أمر عجيب على كل حال . . . خدعتني مع امرأتي من قبل أن أتزوجها، وتشعر بالإهانة لأنّي أتيت أذكّرك بذلك الآن . . . يا للمسكينة مايي! لم تكن الغلطة غلطتها . . . كانت راغبة في أن ترزق بطفل مقابل أي ثمن، وعليه فقد بحثت خارج بيتنا عمن يمكن أن يكون أباً . . . لقد لطختني بالعار تماماً . . . حتى قيل إنها بصبحة بوب كولينز . . . غير أنّ هذا ما لا أصدقه . . . فهو صديقي المفضل . . . وأنا أعذرهم جميعاً إلا ذاك . . . (يجهش باكياً) .

هاريسون (قائلاً لآراس) : سوف تخبرني متى نستطيع الخروج من هنا .

آراس (ينظر إلى ساعته ثم يقول بلهجة تسوية) : طيّب، يا هاميلتون، سوف تنسى كل ذلك وسوف تحصل على منحة مئة دولار في الشهر، ما رأيك؟ سيعود ذلك عليك بكثير من النفع . (يربّت قليلاً على كتفه) .

هاريسون : سوف يبدّدها على الويسكي .

روسكوي : أنا أتصرّف بمالي كما أشاء .

آراس (راغباً في الانتهاء) : إنصرف الآن، أرجوك. وسوف تتلقى مئة دولار في الشهر، ما دامت مايي على قيد الحياة . ويمكنك أن تثق بذلك، فالأمر جاد . هيا انصرف .

روسكوي : أودّ فقط من السيد هاريسون أن يعطيني المئة دولار الأولى بنفسه . فقد جئت إلي نيويورك ومعي مبلغ ضئيل من المال . وأكاد لا أملك شيئاً للعودة . سيكون تلطفاً منك، يا سيد فيش . . .

هاريسون (يخرج من محفظته ورقة نقدية فيضعها فوق المكتب) : هاك .

روسكوي (يأخذ الورقة) : شكراً جزيلاً فاعذرني . لكنّ قلبي كان مثقلاً بالغمّ . أما بوب . . . فأنت تعرف . . . ما عدت أبالي به . . . طيب، إلى اللقاء يا سيد فيش .

سأبعث إليك بأخبار عن مايي . إنّ المسكينة الصغيرة تتذكّرك وتتذكّر الطفل الذي فقدتماه معاً . . . وداعاً يا سيد فيش .

(هاريسون لا يجيب بشيء)

آراس: إلى اللقاء قريباً وشكراً جزيلاً يا سيد هاميلتون .

(يدفع به نحو الباب).

روسكوي (يتوقّف عند العتبة وقد أوشك سيجاره أن ينتهي) : هاريسون ، ألا يسعك أن تقدّم لي سيجاراً آخر من فضلك؟

(هاريسون لا يرد).

آراس (يشير إلى المكتب) : خذ العلبة كلها .

روسكوي (يأخذ العلبة مغتبطاً فيضعها تحت ذراعه) : شكراً ، شكراً . وداعاً ، أيها السادة . شكراً جزيلاً . (ينظر مرة أخيرة ناحية المكتب قبل أن ينصرف) . لقد حلمت على الدوام بأن أستقرّ في نيويورك . . .

(هاريسون منهار تماماً).

آراس: تشجّع يا هاريسون ، تشجّع ! لم يبق سوى الفقرة النهائية ، لكن علينا أن نشحذ الهمّة لتأديتها على الوجه الأكمل (ينظر إلى البرنامج ويقول فرحاً) : . . . الفقرة تدعى : الرقصة الختامية . ما رأيك؟

هاريسون (كأنّه في حلم): الرقصة الختامية؟ ماذا تقصد؟

آراس: ينتهي المشهد كأنّه احتفال، بلون من المنوعات، وبرقصة مرحة . . .

هاريسون (بقلق): ولكن من سيرقص؟

آراس: أنت، يا هاريسون، أنت! إنّك لراقص ممتاز.

هاريسون (منهمكاً): أنا؟ أرجوك، إفعل بي ما تشاء، لكن لا تطلب إليّ أن أرقص . . .

آراس: اطمئن. سوف ترقص مع فيرونيك. وأنت لن تزدريها على ما أظن؟

هاريسون: فيرونيك؟

آراس: أجل، فيرونيك. فقد ارتدت ملابس لهذه المناسبة. سأقوم باستدعائها.

هاريسون (يمسك به): فيرونيك هنا؟

آراس: أجل. بل هي مضطربة على نحو ظاهر. (يفتح الباب فتدخل فيونيك).

(فيرونيك امرأة جميلة فتيّة، ونجمة مسرح المنوعات. ترتدي طقماً فضياً. لكنها أشبه بمومياء فبشرتها جافة متقرّنة. وتعلو ثوبها بقع من الرطوبة والطحالب البيضاء. شعرها الأشقر الرمادي قاس ويسقط بشكل مبعثر على كتفيها. جانب من وجهها مغطى بكامله بنبتة طفيلية وتخرج من وسطها زهرة

أوركيديا خبيثة على سوية أذنها اليمنى، أما جذور النبتة فتنزل على عنقها وتدخل تحت نحرها. ثوبها ممزق من جانب فيكشف عن جزء من ساقها الشبيه بقطعة من البرونز الصدئ. تضع عقداً من حجارة اليشب السوداء والذهبية والخضراء. رأسها الشاحب يبدو مخلوعاً من مكانه. وعيناها تلتمعان. وهي توحي بمجموعها بطعام فاخر في حالة من التفسّخ).

هاريسون (وهو يحاول أن يستيقظ من كابوس): هذه أنت؟ ماحقيقة هذه المهزأة؟

فيرونيك (مندهشة): مابك؟ أنت تبدو مضطرباً؟ (آراس يشغّل الموسيقى: لحن فوكس - تروت حاد). خذني بين ذراعيك، يا هاريسون، ولنرقص.

آراس: طيّب، ارقص، ما بك؟ (هاريسون، كالمصعوق، لا يتحرك. آراس يدفع به نحو فيرونيك). قلت لك ارقص! (آراس يضبط الإيقاع وهو يصفّق كالعفريت. يخطو الثنائي بضع خطى). أحسنتم! أحسنتم! بسرعة أكبر! بسرعة أكبر! (تغدو الموسيقى سريعة تسبب الدوار، فتجعل فيرونيك هاريسون يدور حول نفسه بسرعة).

هاريسون (يبذل جهداً كبيراً، ليدفع بفيرونيك بعيداً عنه، فتسقط فوق كنبة).

– لم أعد أقدر! لم أعد أقدر! (ينظر بتقزّز إلى ثوبها الغامق وعليه بقع مائلة للبياض. يضع يده على قلبه الذي أخذ يخفق بإيقاع متسارع. يسمع صوت طرقات القلب مضخّماً لحين مرور الطائرة).

آراس (يقول لفيرونيك): إذهبي واستدعي طبيباً. فالهاتف هنا لا يعمل. استدعي الدكتور فينكل إذا كان ذلك ممكناً. فالسيد فيش أصيب بأزمة قلبية. (تخرج فيرونيك). شيئاً من الهمّة، يا هاريسون! لم يبق إلا بضع ثوان! (ينظر في ساعته. يسمع صوت أزيز طائرة). بماذا تشعر؟ أجبني! (يهزه).

هاريسون (مترنحاً): بنوع من الدوار. . .

آراس: لا أريد تلك الكلمة. ابحث عن شيء آخر.

هاريسون: بشيء من الرهبة. بشيء من الرعب. . .

آراس: كلا، كلا، فكّر. بسرعة. لم يبق سوى بضع ثوان. بماذا تشعر؟

هاريسون: بالقرف.

آراس: أحسنت! قل ذلك بصوت أقوى! بصراخ! فالطائرة سوف ترتطم.

هاريســون (مذعوراً) : بالقـرف! أحس بـالقـرف! بالقـرف!
القرف من كل شيء!

(ضجيج الطائرة يفوق الاحتمال. ينظر آراس إلى ساعته فيتنفس الصعداء ويؤدي إشارة بيده. ارتطام هائل. ينطفئ النور. يسدل الستار. صوت زجاج يتحطم وجدران تتهاوى. تنفجر محركات الطائرة الساقطة. تعمل أجراس الإنذار في المبنى وتختلط بصراخ المستأجرين. الذعر مسموع. بوق سيارة إطفاء بعيد يغدو قريباً ثم يطغى عل كل أشكال الضجيج. صمت مباغت).

(يسمع بوق البداية مصحوباً بأصوات آلات موسيقية. يخرج آراس من وراء الستار مبتسماً وورقة في يده).

آراس : «في ٢٨ تموز ١٩٤٥ صباحاً، صدمت طائرة تابعة لسلاح الجو ناطحة السحاب الامبايرستيت على سوية الطابق السبعين، فنجم عن الحادث ثلاثة قتلى وعشرون جريحاً».
وما دمنا بهذا الصدد، فهل شعرتم يوماً بالقرف؟ تذكروني. اسمي آراس وأنا اختصاصي بالمفاجآت. . .
مع خالص التقدير (ينحني ويختفي).

(يختتم المشهد على أنغام مجموعة من الأبواق تعزف لحن جاز سريعاً ومرحاً).